قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)

قوله تعالى : { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفلق } . هذه السورة ، وسورة « النَّاس » ، و « الإخلاص » نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سحرته اليهود ، وزعم ابن مسعود أنهما دعاء ، وليستا من القرآن ، وخالف به الإجماع من الصحابة ، وأهل البيت .

قال ابن قتيبة : لم يكتب عبد الله بن مسعود في مصحفه المعوِّذتين؛ لأنه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين بهما ، فقدر أنهما بمنزلة : « أعوذُ بكَلمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ من كُلِّ شيطانٍ وهَامَّةٍ ، ومِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ » .

قال ابن الأنباري : وهذا مردود على ابن قتيبة؛ لأن المعوذتين من كلام ربِّ العالمين؛ المعجز لجميع المخلوقين ، و « أعِيذُكما بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامةِ » من قول البشر ، وكلام الخالق الذي هو آية ، وحجة لمحمد صلى الله عليه وسلم على جميع الكافرين ، لا يلتبس بكلام الأدميين على مثل عبد الله بن مسعود ، الفصيح اللسان ، العالم باللغة العارف بأجناس الكلام .

وقال بعضُ الناس : لم يكتب عبد الله المعوذتين؛ لأنه من أمن عليهما من النسيان ، فأسقطهما وهو يحفظهما كما أسقط فاتحة الكتاب من مصحفه ، وما يشك في إتقانه ، وحفظه لهما ، ورد هذا القول على قائله ، واحتج عليه بأنه قد كتب : { إِذَا جَآءَ نَصْرُ الله والفتح } [النصر : 1] و { إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ الكوثر } [الكوثر : 1] و { قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ } [الاخلاص : 1] وهن يجرين مجرى المعوذتين في أنهن غير طوال ، والحفظ إليهن أسرع ، والنسيان مأمون ، وكلهن يخالف فاتحة الكتاب؛ إذ الصلاة لا تتم إلا بقراءتها ، وسبيل كل ركعة أن تكون المقدمة فيها قبل ما يقرأ من بعدها ، فإسقاط فاتحة الكتاب من المصحف على معنى الثقة ببقاء حفظها ، والأمن من نسيانها ، صحيح ، وليس من السور في هذا المعنى مجراها ، ولا يسلك به طريقها .

فصل في تفسير السورة

تقدم الكلام على الاستعاذة ، و « الفلقُ » : هو الصبح ، وهو فعل بمعنى مفعول ، أي : مفلوق ، وفي الحديث : « الرُّؤيَا مثلُ فلقِ الصُّبْحِ » .

قال الشاعر : [البسيط]

5360- يَا ليْلَةً لَمْ أنمْهَا بِتُّ مُرتفقاً ... أرْعَى النُّجُومَ إلى أن نَوَّرَ الفلقُ

وقال ذو الرمة يصف الثور الوحشي : [البسيط]

5361- حتَّى إذَا ما انْجَلَى عَنْ وجْهِهِ فلقٌ ... هَاديهِ فِي أخريَاتِ اللَّيْلِ مُنتَصِبُ

يعني بالفلق هنا : الصبح بعينه .

وقيل : الفلق : الجبال ، والصخور ، تنفلق بالمياه ، أي : تتشقق وقيل : هو التفليق بين الجبال ، لأنها تنشق من خوف الله تعالى .

قال زهير : [البسيط]

5362- مَا زِلتُ أرْمُقهُمْ حتَّى إذَا هَبطَتْ ... أيْدِي الرِّكابِ بِهِمْ من راكِسٍ فَلقَا

والراكس : بطن الوادي .

وكذلك هو في قول النابغة : [الطويل]

5363- . . . . أتَانِي

ودُونِي رَاكِسٌ فالضَواجِعُ

والراكس أيضاً : الهادي ، وهو الثور وسط البيدرِ تدور عليه الثيران في الدِّياسة

.
وقيل : الرحم تنفلق بالحيوان .

وقيل : إنه كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان ، والصبح ، والحب ، والنوى وكل شيء من نبات وغيره . قاله الحسن وغيره .
قال الضحاك : الفلق : الخلق كله ، قال : [الرجز]
5364- وسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصاً ربَّ الفَلق ... سِرًّا وقَدْ أوَّنَ تَأوين العَقَقْ
قال القرطبيُّ : « وهذا القول يشهد له الاشتقاقُ ، فإن الفلق : الشَّق ، يقال : فلقت الشيء فلقاً ، أي : شققته ، والتفليق مثله ، يقال : فلقته فانفلق وتفلق ، فكل ما انفلق عن شيء من حيوان وصبح وحب ونوى وماء فهو فلق : قال تعالى : { فَالِقُ الإصباح } [الأنعام : 96] وقال - عز وجل - : { فَالِقُ الحب والنوى } [الأنعام : 95] .
[والفلق مقطرة السمّان ، فأما الفِلق بالكسر فهو الداهية ، والأمر العجيب يقال منه : أفلق الرجل وافتلق ، وشاعر مفلق ، وقد جاء بالفلق؛ قال الشاعر : [الرجز]
5365- واعجَباً لِهَذِهِ الفَليقهْ ... هَلْ يُذْهِبَنَّ القُوَبَاءَ الريقَهْ
والفِلْقُ أيضاً : القضيب يشق باثنين ، فيعمل منه قوسان ، يقال لكل منهما : فِلْق ، وقولهم : جاء بعُلق فلق وهي الداهيةِ ، يقال منه أعلقت وأفلقت . أي جئت بعُلق فلق ، ومر يفتلق في عدوه أي بالعجب من شدته] .
قوله : { مِن شَرِّ مَا خَلَقَ } ، متعلق ب » أعوذ « ، والعامة : على إضافة » شرِّ « إلى » ما « ، وقرأ عمرو بن فايد : » مِنْ شرٌّ « بالتنوين .
وقال ابن عطية : وقرأ عمرو بن عبيد وبعض المعتزلة الذين يرون أن الله لم يخلق الشَّر : » مِنْ شرٌّ « بالتنوين ، » مَا خلقَ « على النفي وهي قراءةٌ مردودةٌ مبنيةٌ على مذهب باطل انتهى .
ولا يتعين أن تكون » ما « نافية ، بل يجوز أن تكون موصولة بدلاً من » شرِّ « على حذف مضاف ، أي : من شر شر ما خلق ، عمم أولاً ، ثم خصص ثانياً .
وقال أبو البقاء : و » ما « على هذا بدل من » شر « ، أو زائدة ، ولا يجوز أن تكون نافية؛ لأن النافية ، لا يتقدم عليها ما في حيزها ، فلذلك لم يجز أن يكون التقدير : ما خلق من شر ، ثم هو فاسد في المعنى . وهو رد حسن صناعي ، ولا يقال : إن » مِنْ شرٌّ « متعلق ب » أعُوذُ « وقد أنحى مكي على هذا القائل ، ورده بما يقدم .
و » ما « مصدرية ، أو بمعنى » الذي « .
فصل في المقصود بشر ما خلق
روى عطاء عن ابن عباس : يريد إبليس خاصة؛ لأن الله تعالى لم يخلق أشرَّ منه ، وأن السورة إنما نزلت في الاستعاذة من السِّحر ، وذلك إنَّما يتم بإبليس وجنوده ، لعنهم الله ، وقيل : جهنم وما خلق فيها .
وقيل : عام؛ أي من شر كل ما خلقه الله وقيل : ما خلق الله من الأمراض ، والأسقام [والقحط] وأنواع المِحَنْ .
وقال الجبائي والقاضي : هذا التقييد باطل؛ لأن فعل الله - تعالى - لا يجوز أن

يوصف بأنه شر؛ لأن الذي أمر بالتعوذ منه هو الذي أمر به ، وذلك متناقض؛ لأن أفعاله - تعالى - كلها حكمة وصواب ، فلا يجوز أن يقال : شرّ .

(16/500)

وأيضاً : فلأن فعل الله لو كان شرًّا؛ لوصف فاعله بأنه شر ، وتعالى الله عن ذلك .
والجواب عن الأول : أنه لا امتناع في قوله : أعوذ بك منك ، كما رد عن الثاني أن الإنسان لم تألم وصف بالألم كقوله تعالى : { وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا } [الشورى : 40] ، وقوله تعالى : { فَمَنِ اعتدى عَلَيْكُمْ فاعتدوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعتدى عَلَيْكُمْ } [البقرة : 194] .
وعن الثالث : أن أسماء الله توقيفية لا اصطلاحية ، ومما يدل على جواز تسمية الأمراض والأسقام بأنها شرور قوله تعالى : { إِذَا مَسَّهُ الشر جَزُوعاً } [المعارج : 20] .
قوله : { وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ } ، « إذا » منصوب ب « أعوذ » أي : أعوذ بالله من هذا في وقت كذا ، كذا .
والغسقُ : هو أول ظلمةِ الليل ، يقال منه : غسق الليل يغسق ، أي : يظلم .
قال ابن قيس الرقيَّات : [المديد]
5366- إنَّ هَذا اللَّيْلَ قدْ غَسقَا ... واشْتكَيْتُ الهَمَّ والأرَقَا
وهذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم ، ووقب على هذا : أظلم .
وقيل : نزل ، قال : وقب العذاب على الكافرين : نزل .
5367- وقَبَ العَذابُ عَلَيْهِمُ فكَأنَّهُمْ ... لحِقَتْهُمْ نَارُ السَّمُومِ فأحْصِدُوا
وقال الزجاج : قيل لليل غَاسق ، لأنه أبرد من النَّهار ، والغاسق : البارد ، والغسق : البرد؛ ولأنَّ في الليل تخرج السِّباع من آجامها والهوام من أماكنها ، وينبعث أهل الشرِّ على العبث ، والفسادِ ، فاستعير من الليل .
قال الشاعر : [البسيط]
5368- يَا طَيْفَ هِنْدٍ لقَدْ أبْقَيْتَ لِي أرقاً ... إذْ جِئْتنَا طَارِقاً والليلُ قَدْ غَسَقا
أي : أظلم واعتكر ، وقيل : الغاسق : الثُّريَّا ، لأنها إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين ، وإذا طلعت ارتفع ذلك . قاله عبد الرحمن بن زيد .
وقال القتبي : القمر إذا وقب إذا دخل في ساهورة كالغلاف إذا خسف وكل شيء أسود فهو غسق .
وقال قتادة : « إذَا وقَبَ » إذا غاب .
قال القرطبي : وهو أصح ، لماروى الترمذي عن عائشة - رضي الله عنها - « أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى القمر ، فقال : » يا عَائِشةُ ، استَعِيذِي باللهِ من شرِّ هذا ، فإنَّ هذا هُوَ الغاسقُ إذا وقبَ « » ، قال : هذا حديث حسن صحيح .
[وقيل : الغاسق : الحيَّة إذا لدغت ، وكأن الغاسق نابها لأن السم يغسق منه أي : يسيل ، يقال : غسقت العين تغسق غسقاً ، إذا سالت بالماء ، وسمي الليل غاسقاً ، لانصباب ظلامه على الأرض ، ووقب نابها إذا قامت باللدغ] .
وقيل : الغاسقُ : كل هاجم يضر ، كائناً ما كان ، من قولهم : غسقت القرحة ، إذا جرى صديدها .

قال ابن الخطيب : وعندي فيه وجه آخر ، لو أنه صح ، أن [القمر في جرمه غير مستنير ، بل هو مظلم ، فهذا هو المراد من كوته غاسقاً ، وأما وقوبه فهو انمحاء نوره في آخر] الشهر والمنجمون يقولون : إنه في آخر الشهر منحوس ، قليل القوة؛ لأنه لا يزال نوره بسبب ذلك تزداد نحوسته ، فإن السحرة إنما يشتغلون في السحر الموروث ، للتمريض في هذا الوقت ، وهذا مناسب لسبب نزول السورة فإنها نزلت؛ لأجل أنهم سحروا النبي صلى الله عيه وسلم لأجل التمريض .

(17/1)

قوله : { وَمِن شَرِّ النفاثات فِي العقد } ، النَّفَّاثات : جمع نفاثة ، مثال مبالغة من نفث ، أي : نفخ ، واختلف فيه .
فقال أبو الفضل : شبه النفخ من الفم بالرقية ، ولا شيء معه .
قال عنترة : [الوافر]
5369- فإنْ يَبْرَأ فلمْ أنفُثْ عليْهِ ... وإنْ يُفْقَدْ فحُقَّ لهُ الفُقُودُ
وقال الزمخشري : « النفخُ مع ريق » .
وقرأ الحسن : « النُّفَّاثات » بضم النون ، وهو اسم كالنفاثة . ويعقوب وعبد الرحمن بن سابط وعيسى بن عمر وعبد الله بن القاسم : « النافثات » ، وهي محتملة لقراءة العامة .
والحسن وأبو الربيع : « النفثات » دون ألف محاذر وحذر ، ونكّر عاسقاً وحاسداً؛ لأنه قد يتخلف الضرر فيهما؛ فإن التنكير للتبعيض ، وعرف النفاثات إما للعهد كما يروى في التفسير ، وإما للمبالغة في الشَّر .
فصل في معنى النَّفَّاثات
قال المفسرون : يعني السَّاحرات اللائي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها .
قال أبو عبيدة : النفاثات هي بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم .
قال الشاعر : [المتقارب]
5370- أعُوذُ بربِّي مِنَ النَّافِثَا ... تِ في عِصَهِ العَاضهِ المُعْضِهِ
وقال متمم بن نويرة : [السريع]
5371- نَفَثْتُ فِي الخيْطِ شَبيهَ الرُّقَى ... مِنْ خَشْيةِ الجِنَّة والحَاسدِ
فصل
روى النسائي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ عَقَدَ عُقدةً ثُمَّ نفث فيها ، فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلَّق شيئاً وكُلَ إليْهِ » .
واختلف في النَّفث عند الرقى : فمنعه قوم ، وأجازه آخرون .
قال عكرمة : لا ينبغي للراقي أن ينفث ، ولا يمسح ، ولا يعقد .
قال إبراهيم : كانوا يكرهون النفث من الراقي ، والصحيح الجواز؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث في الرقية .
وروي محمد بن حاطب أن يده احترقت ، فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل ينفث عليها ، ويتكلم بكلام ، وزعم أنه لم يحفظه .
وروي أن قوماً لدغ فيهم رجل ، فأتوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

فقالوا : هل فيكم من راقٍ؟ فقالوا : لا حتى تجعلوا لنا شيئاً ، فجعلوا لهم قطيعاً من الغنم ، فجعل رجل منهم يقرأ فاتحة الكتاب ويرقى ويتفل حتى برئ ، فأخذوها ، فلما رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فقال : وما يدريكم أنها رقية؟ خذوا واضربوا لي معكم سهماً .
وأما ما روي عن عكرمة فكأنه ذهب فيه إلى أن النفث في العقد مما يستعاذ به بخلاف النفث بلا عقد .
قال ابن الخطيب : هذه الصناعة إنما تعرف بالنِّساء ، لأنهن يعقدن في الخيط ، وينفثن ، وذلك لأن الأصل الأعظم فيه ربط القلب بذلك الأمر ، وإحكام الهمَّة والوهم فيه ، وذلك إنما يتأتَّى من النساء لقلة عملهن ، وشدة شهوتهن ، فلا جرم كان هذا العمل منهن أقوى .

(17/2)

قوله : { وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } ، الحسدُ : هو تمني زوال نعمة المحسود ، وإن لم يصر للحاسد مثلها ، والمنافسة : هي تمنّي مثلها وإن لم تزل من المحسود ، وهي الغبطة ، فالحسد : شر مذموم ، والمنافسة مباحة .
قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن يغبط والمنافق يحسد » وقال : « لا حَسَدَ إلاَّ في اثنتين » يريد الغبطة .
قال ابن عباس وعائشة - رضي الله عنهما - : لما كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قربت إليه اليهود ، فلم يزالوا حتى أخذوا مشاطة من أثر النبي صلى الله عليه وسلم وعدة من أسنان مشطه ، فأعطاه اليهود؛ ليسحروه بها صلى الله عليه وسلم وتولى ذلك ابن الأعصم ، رجل من اليهود .
فصل في أن الله خلق الخير والشر
هذه السورة دالة على أن الله خلق كل شر ، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ من جميع الشرور ، فقال - عز وجل - : { مِن شَرِّ مَا خَلَقَ } وذلك خاتمة ذلك الحسد تنبيهاً على عظمته ، وكثرة ضرره ، والحاسد عدو نعمة الله تعالى .
قال بعض الحكماء : الحاسد بارز ربَّه من خمسة أوجه :
أحدها : أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره .
وثانيها : أنه ساخط لقسمة ربه ، كأنه يقول : لم قسمت إلي هذه القسمة .
وثالثها : أنه ضاد الله ، أي : أن فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهو يبخل بفضل الله .
ورابعها : أنه خذل أولياء الله ، أو يريد خذلانهم ، وزوال النعمة عنهم .
وخامسها : أنه أعان عدوه إبليس .
وقيل : الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة ، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاء ، ولا ينال في الخلوة إلا جزعاً ، وغمًّا ، ولا ينال في الآخرة إلا حزناً ، واحتراقاً ، ولا ينال من الله إلا بعداً ومقتاً .
وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثةٌ لا يُسْتَجَابُ دعاؤهُم : آكلُ الحرام ، ومُكثرُ الغِيبةِ ، ومنْ كانَ في قلبِهِ غلٌّ أو حسدٌ للمسلمين » .
روى [الثعلبي عن أبيّ] - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها

» وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أُخْبِرُكَ بأفضل ما تعوَّذ بهِ المتعوِّذُونَ »؟ قلت : بلى يا رسُول اللهِ ، قال : { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفلق } و { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الناس } « والله أعلم .

(17/3)

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)

قوله تعالى : { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الناس } . قرئ : « قُلَ عُوذُ » بحذف الهمزة ، ونقل حركتها إلى اللام ، ونظيره : { فَخُذَ رْبَعَةً } [البقرة : 260] .
وأجمع القراء على تلك الإمالة في « النَّاس » إذا كان في موضع الخفض .
ومعنى « رَبّ الناس » مالكهم ، ومصلح أمورهم ، وإنما ذكر أنه « رَبّ الناس » ، وإن كان رباً لجميع الخلق لأمرين :
أحدهما : لأن الناس معظمون ، فأعلم بذكرهم أنه ربٌّ لهم وإن عظموا .
والثاني : لأنه أمر بالاستعاذة من شرِّهم ، فأعلم بذكرهم أنه هو الذي يعيذ منهم ، وإنما قال : { مَلِكِ الناس إله الناس } لأن في الناس ملوكاً فذكر أنه ملكهم ، وفي الناس من يعبد غيره ، فذكر أنه إلههم ، ومعبودهم ، وأنه الذي يجب أن يستعاذ به ، ويلجأ إليه دون الملوك ، والعظماء .
قوله : { مَلِكِ الناس إله الناس } . يجوز أن يكونا وصفين ل « ربّ الناس » وأن يكونا بدلين ، وأن يكونا عطف بيان .
قال الزمخشري : فإن قلت : « ملك الناس ، إله الناس »؟ ما هما من « رب الناس »؟ قلت : هما عطف بيان ، كقولك : سيرة أبي حفص عمر الفاروق ، بين ب { مَلِكِ الناس } ثم زيد بياناً ب { إله الناس } ؛ لأنه قد يقال لغيره : « رب النَّاس » ، كقوله : { اتخذوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ الله } [التوبة : 31] ، وقد يقال : « ملك النَّاس » ، وأما « إله النَّاس » فخاص لا شركة فيه ، فجعل غاية للبيان .
واعترض أبو حيَّان : بأن البيان يكون بالجوامد ، ويجاب عنه بأن هذا جارٍ مجرى الجوامد وقد تقدم تقريره في « الرحمن الرحيم » أول الفاتحة .
وقال الزمخشري : فإن قلت : لم قيل : « بربِّ النَّاس » مضافاً إليهم خاصة؟ .
قلت : لأن الاستعاذة وقعت من شر الوسواس في صدور الناس ، فكأنه قيل : أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم .
قال الزمخشري : « فإن قلت : فهلاَّ اكتفي بإظهار المضاف إليه الذي هو النَّاس مرة واحدة؟ لأن عطف البيان للبيان ، فكان مظنةً للإظهار دون الإضمار » .
وكرر لفظ « النَّاس »؛ لأن عطف البيان يحتاج إلى مزيد الإظهار ، ولأن التكرار يقتضي مزيد شرف الناس ، وأنهم أشرف مخلوقاته .
قال ابن الخطيب : وإنما بدأ بذكر الرب تعالى ، وهم اسم لمن قام بتدبيره ، وإصلاحه من أوائل نعمه إلى أن رباه ، وأعطاه العقل ، فحينئذ عرف بالدليل أنه مملوك وأنه ملك ، فثنى بذكر الملك ، ثم لما علم أن العبادة لازمة له ، وعرف أنه معبود مستحق للعبادة وعرفه أنه إله فلهذا ختم به .

قال ابن الخطيب : ولم يقرأ في المشهورة هنا « مالك » بالألف ، كما قرئ به في الفاتحة ، لأن معنى المالك هو الربُّ ، فيلزم التكرار .

وقرئ به في الفاتحة ، لاختلاف المضافين ، فلا تكرار .
قوله : { مِن شَرِّ الوسواس } .
قال الزمخشري : « اسم بمعنى الوسوسة ، كالزلزال بمعنى الزلزلة ، وأما المصدر : فوِسْواس - بالكسر » كزِلْزَال « ، والمراد به الشيطان ، سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه ، لأنها صنعته ، وشغله الذي هو عاكف عليه ، وأريد ذو الوسواس » . انتهى ، وقد مر الكلام معه أن المكسور مصدر ، والمفتوح اسم في « الزلزلة »؛ فليراجع .
والوَسْوَسَةُ : حديث النفس ، يقال : وسوست إليه نفسه وَسْوَسة ووِسْوَسة - بكسر الواو - قاله القرطبي .
ويقال لهمس الصائد ، والكلاب ، وأصوات الحليّ : وسواس .
قال ذو الرمة : [البسيط]
5372- فَبَاتَ يُشئِزُهُ ثَأْدٌ ويُسهِرهُ ... تَذؤُّبُ الرِّيحِ والوَسْوَاسُ والهِضَبُ
وقال الأعشى : [البسيط]
5373- تَسْمَعُ للحَلْيِ وسْوَاساً إذا انصَرفَتْ ... كمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشرِقٌ زَجِلُ
قوله : « الخنَّاس » أي : الرجَّاع؛ لأنه إذا ذكر الله - تعالى - خنس ، وهو مثال مبالغة من الخنوس .
يقال : خنس أي تأخر ، يقال : خنستة فخنس ، أي أخرته فتأخر ، وأخنسته أيضاً . وتقدم الكلام على هذه المادة في سورة : { إِذَا الشمس كُوِّرَتْ } [التكوير : 1] .
{ الذى يُوَسْوِس } : يجوز جره نعتاً وبدلاً [وبياناً لجريانه مجرى] الجوامد ، ونصبه ورفعه على القطع .
قال القرطبي : « ووصف بالخناس؛ لأنه كثير الاختفاء ، ومنه قوله تعالى : { فَلاَ أُقْسِمُ بالخنس } [التكوير : 15] يعني النجوم لاختفائها بعد ظهورها » .
فصل في الكلام على الشيطان
قال مقاتل : إن الشيطان في سورة خنزير ، يجري من ابن آدم مجرى الدم في عروقه ، سلَّطه الله على ذلك ، فذلك قوله تعالى : { الذى يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ الناس } ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الشَّيطَانَ يَجْرِي من ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ » رواه البخاري ومسلم .
قال القرطبي : « ووسوسته : هو الدعاء إلى طاعته ، حتى يصل به إلى القلب ، من غير صوت » .
قوله : { مِنَ الجنة } . فيه أوجه :
أحدها : أنه بدل من « شرّ » بإعادة العامل ، أي : من شر الجنة .
الثاني : أنه بدل من ذي الوسواس؛ لأن الموسوس من الجن والإنس .
الثالث : أنه حال من الضمير في « يُوسْوِسُ » حال كونه من هذين الجنسين .
الرابع : أنه بدل من « النَّاس » وجعل « مِنْ » تبييناً ، وأطلق على الجن اسم النَّاس؛ لأنهم يتحركون في مراداتهم . قاله أبو البقاء : إلا أنَّ الزمخشري أبطله

، فقال بعد أن حكاه : « واستدلوا بنفر ورجال في سورة » الجنِّ « ، وما أحقه لأن الجنَّ سموا جنًّا لاجتنانهم ، والناس ناساً لظهورهم من الإيناس ، وهو الإبصار ، كما سموا بشراً ، ولو كلن يقع الناس على القبيلين ، وصح ذلك ، وثبت لم يكن مناسباً لفصاحة القرآن ، وبعده عن التصنُّع ، وأجود منه أن يراد بالنَّاس : الناسي ، كقوله : { يَوْمَ يَدْعُ الداع } [القمر : 6] ، ثم يبين بالجنة والناس؛ لأن الثقلين هما النوعان الموصفان بنسيان حق الله عز وجل » .

(17/5)

الخامس : أنه بيان ل { الذى يُوَسْوِسُ } على أنَّ الشيطان ضربان : جني ، وإنسي ، كما قال : { شَيَاطِينَ الإنس والجن } [الأنعام : 112] ، وعن أبي ذر ، أنه قال لرجل : هلاَّ استعذت من شياطين الإنس .
السادس : أن يتعلق ب « وسوس » ، و « مِنْ » لابتداء الغاية ، أي : يوسوس في صدورهم من جهة الإنس ، ومن جهة الجن .
السابع : أن « الناس » عطف على « الوسواس » ، أي : من شر الوسواس والناس ، ولا يجوز عطفه على « الجنَّة »؛ لأن النَّاس لا يوسوسون في صدور النَّاس ، إنما يوسوس الجن ، فلما استحال المعنى حمل على العطف على الوسواس ، قاله مكي .
الثامن : أن « مِنْ الجِنَّةِ »؛ حال من « النَّاس » أي : كائنين من القبيلين ، قاله أبو البقاء ، ولم يبين أي الناس المتقدم أنه صاحب الحال ، وعلى كل تقدير فلا يصح معنى الحالية في شيء منها ، لا الأول ، ولا ما بعده ، ثم قال : « وقيل : هو معطوف على الجنة » ، يريد : « والنَّاس » الأخير معطوف على الجنة ، وهذا الكلام يستدعي تقدير شيء قبله وهو أن يكون الناس عطفاً على غير الجنة؛ وفي الجملة فهو كلام يتسامح فيه .
فصل في شياطين الإنس والجن
قال الحسن : هما شيطانان لنا : أما شيطان الجن ، فيوسوسُ في صدور الناس ، وأما شيطان الإنس فيأتي علانية .
وقال قتادةُ : إن من الجن شياطين ، وإنَّ من الإنس شياطين فتعوذ بالله من شياطين الجن والإنس .
وعن أبي ذر : أنه قال لرجل : هل تعوَّذتَ بالله من شياطين الإنس؟ .
قال : أو من الإنس شياطين؟ قال : نعم ، لقوله تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإنس والجن } [الأنعام : 112] .
وذهب قوم : أنَّ المراد بالناس هنا الجن ، سموا بذلك ناساً كما سموا رجالاً في قوله تعالى : { وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإنس يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجن } [الجن : 6] ، وكما سموا نفراً في قوله تعالى : { وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الجن } [الأحقاف : 29] .
فعلى هذا يكون « والنَّاس » عطفاً على « الجنَّةِ » ، ويكون التكرير لاختلاف اللفظين .
وقيل : معنى : { مِن شَرِّ الوسواس } ، أي : الوسوسة التي تكون من الجنة والناس ، وهو حديث النفس .
قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - تجَاوَزَ لأمَّتِي مَا حدَّثتْ بِهِ أنفُسهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أو تَتَكلَّمْ بِهِ » والله أعلم .